﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

وَجْهُ مناسبَةِ الآيةِ الكريمةِ لما قبلَها أنَّه: "لَمّا نفى اللّه تعالى أنْ يكونَ القُرآنُ مُفترًى، بل جاء مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيه مِن الكُتُبِ، وبيانًا لما فيها، ذكَرَ هنا أعظَمَ دَليلٍ على أنَّه مِن عندِ اللّه، وأقامَ البرهانَ القاطعَ على ذلك، وهو الإعجازُ الَّذي اشتمَلَ عليْه، فتحدَّى جميعَ الخلْقِ بسورةٍ واحدةٍ مثلِه، فأبطلَ بذلك دعْواهم افتراءَه"[1].

الانْتِقالُ مِنْ زَعْمٍ إلى زَعْمٍ لَجاجٌ وعِنادٌ مِنَ المُشْرِكينَ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱدْعُوا۟﴾: دَعا إلى الأمرِ يَدعو دُعاءً: رَغَّب فيه. ودَعا إلى الصَّلاةِ دُعاءً: أذَّنَ. ودَعا لفُلانٍ: رَجا لهُ الخَيْرَ. ودَعا بالشَّيْءِ: طَلَبَ إحْضارَهُ، ودَعا اللّه: ابْتَهَلَ إلَيْه[2]. ويَدلُّ المعنى المَحْوَريُّ للمادَّةِ على جَذْبِ الشَّيْءِ أوْ مُحاوَلةِ ضَمِّهِ إلى حَيِّزٍ أوْ أمرٍ، كَجَذْبِ اللَّبَنِ إلى حَيِّزِهِ، وجَذْبِ النّاسِ إلى الوَليمةِ والاجْتِماعِ، وكلُّ ما عُدّيَ بـ (إلى) أوْ باللّام فهوَ مِنَ الدَّعْوةِ إلى دينٍ أوْ عَمَلٍ. وقدْ يَأْتي بَعضُ ما هوَ بهذا المعنى مُعَدًّى بنَفْسِه[3]. والمعنى المَقصودُ هُنا: النِّداءُ استِحْضارًا واسْتِنهاضًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَحَدَّتْهُمُ الآيَةُ بكُلِّ قُوَّةٍ ووُضوحٍ أنْ يَأْتوا بسورَةٍ مِنْهُ ولو تَعاضَدوا واحْتَشَدوا

يقول المُكَذِّبون عنادًا وبَغْيًا: إنَّ النّبيَّ ﷺ افْترى القرآنَ مِن عِنْدِ نَفْسِه، واخْتَلَقه على اللّه، فقُلْ لَهُم على سبيلِ التَّبكيتِ والتَّحدّي: إنْ كنتُم صادِقين في ادِّعائِكم فلْتأتوا - وأنتم أهلُ الفصاحةِ والبلاغةِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: (دعو)، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/512.
(2) مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الكبير: (دعو).
(3) جَبَل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دعو).

- بسورَةٍ واحدةٍ مِن جِنْسِ هذا القرآنِ في بلاغتِه وفصاحتِه وإعجازِه، واستعينوا بمَن يُعاونُكم على ذَلِكَ بكُلِّ مَنْ قَدَرْتُم علَيْهِ مِنْ إنْسٍ وجانٍّ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ ﴿أَمْ﴾ ومَعْناها في: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾:

تَهْيِئَةُ السّامِعينَ لِيَتَلَقّوا هذه الدَّعْوى بمَزيدِ الاشْمِئْزازِ والتَّعَجُّبِ مِنْ حَماقَةِ أصْحابِها

"﴿أَمْ﴾ مُنْقَطِعَةٌ، وهي مُقَدَّرَةٌ بِـ (بَلْ)، أي: بَلْ يَقولونَ، و(بَلِ) انْتِقاليَّةٌ. وقيلَ: إنَّ ﴿أَمْ﴾ مُتَّصِلَةٌ ومُعادِلُها مُقَدَّرٌ، أي: أتُقِرّونَ به، أم تَقولونَ افْتَراهُ، وقيلَ: هي اسْتِفْهاميَّةٌ بمعنى الهَمزَةِ، وقيل: عاطِفَةٌ بمعنى الواوِ"[1]، والأرجحُ الأوَّلُ، وكونُ "(أَم) للْإضْرابِ الانْتِقاليِّ مِنَ النَّفْيِ إلى الاسْتِفْهامِ الإنْكاريِّ التَّعْجيبيِّ، وهو ارْتِقاءٌ بإبْطالِ دَعْواهم أنْ يَكونَ القُرْآنُ مُفْتَرًى مِن دونِ اللّه، ومِن بَديعِ الأُسْلوبِ وبَليغِ الكَلامِ أنْ قُدِّمَ وصْفُ القُرْآنِ بما يَقْتَضي بُعْدَهُ عنِ الافْتِراءِ وبما فيه مِن أجَلِّ صفاتِ الكُتُبِ، وبِتَشْريفِ نِسْبَتِهِ إلى اللّه تعالى ثُمَّ أعْقَبَ ذَلِكَ بالاسْتِفْهامِ عنْ دَعْوى المُشْرِكينَ افْتِراءً ليَتَلَقَّى السّامِعُ هذه الدَّعْوى بمَزيدِ الاشْمِئْزازِ والتَّعَجُّبِ مِن حَماقَةِ أصْحابِها"[2].

الاسْتِفْهامُ المَحْذوفُ ودلالَتُهُ:

تَبَيُّنُ الدَّلائلِ وعَدَمُ اتِّباعِها يَقْتَضي التَّوْبيخَ والتَّقْريعَ

الاستفهامُ المحذوفُ لإنكارِ الواقعِ واسْتبعادِه، والتَّقديرُ: وما كانَ ينبَغي ذلك، وأفادَ أيضًا التَّقْريعَ والتَّوْبيخَ والتَّعجيبَ، ولمّا اخْتَصَّتْ ﴿أَمْ﴾ بعَطْفِ الاستفهامِ كانَ الاستفهامُ مُقَدَّرًا مَعَها حَيْثُما وقَعَتْ، فالاستفهامُ الَّذي تُشْعِرُ بِه ﴿أَمْ﴾ استفهامٌ تَعْجيبيٌّ إنْكاريٌّ، والمعنى: بَلْ أيَقولونَ افْتَراهُ بعدما تَبَيَّنَ لَهم مِنَ الدَّلائِلِ على صِدْقِهِ وبَراءَتِهِ مِنَ الافْتِراءِ. ثُمَّ أعْقَبَ ﴿أَمْ﴾ "بالاسْتِفْهامِ عنْ دَعْوى المُشْرِكينَ افْتِراءً ليَتَلَقَّى السّامِعُ هذه الدَّعْوى بمَزيدِ الاشْمِئْزازِ والتَّعَجُّبِ مِن

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/119.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/170.

حَماقَةِ أصْحابِها، فلِذلِكَ جُعِلَتْ دَعْواهُمُ افْتِراءَهُ في حَيِّزِ الاستفهامِ الإنْكاريِّ التَّعْجيبيِّ"[1].

نُكْتَةُ العُدولِ عَنِ الماضي إلى المُضارِعِ في: ﴿يَقُولُونَ﴾:

اسْتِحْضارُ الماضي تَبْشيعٌ للجَرائِمِ

عُدِلَ عن التَّعبيرِ بالماضي (قالوا) إلى المضارعِ في: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ﴾؛ للدَّلالةِ على تَكْرارِ هذا القولِ مِن المُشْرِكين لغبائِهم، وبَلادةِ عُقولِهم، واستحضارًا للماضي تَسجيلًا عَليْهم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بضَميرِ الغَيْبَةِ في: ﴿ٱفْتَرَىٰهُۖ﴾:

مُراعاةُ مَقامِهِ الشَّريفِ ﷺ

أوثرَ التَّعبيرُ بضميرِ الغَيْبَةِ في ﴿ٱفْتَرَىٰهُۖ﴾ على ما لوْ قيلَ: افتريتَه بتاءِ الخِطابِ، مراعاةً لمقامِه الشّريفِ ﷺ باجتنابِ مواجهتِه بأنَّه مُفْتَرٍ حتَّى في سياقِ النَّفي[2].

دلالَةُ الأمرِ ﴿قُلْ﴾:

مُواجَهَةُ المُشْرِكينَ بما يَنْسِفُ مَقالَتَهُم

في التَّعبيرِ بالأمرِ: ﴿قُلْ﴾ أمرٌ إلهيٌّ للرّسولِ ﷺ بإجابةِ المُشْرِكين تَبْكيتًا لَهُم، وإظْهارًا لبُطْلانِ تَقَوُّلِهم، ومواجهَتِهم بما يَنْسِفُ مَقالتَهم، وهو فِعلٌ يكْثُرُ في القرآنِ الكريمِ في قضايا مهمَّةٍ تتطلَّب متابعةَ النَّبيِّ ﷺ بنفْسِه.

مَعْنى الفاءِ ودلالَتُها في: ﴿فَأْتُواْ﴾:

الإشارَةُ إلى سُرْعَةِ الرَّدِّ عَلى دَعْوى المُشْرِكينَ، وإبْطالِ قَوْلِهم، وتَحدّيهم في مَيْدانِ نُبوغِهم

الفاءُ في قولِه: ﴿فَأْتُواْ﴾ فاءُ الفَصيحةِ، وهي تدلُّ على شَرْطٍ محذوفٍ تقديرُه: إنْ كنتُم تَزْعُمون أنّ محمَّدًا ﷺ اختلقَ القرآنَ وافْتراه فهو بَشَرٌ، وأنتُم بَشَرٌ مثلُه فأْتوا بسورةٍ من جِنْسِ ما افتراه. وفي الفاءِ إشارةٌ إلى سرعةِ الرَّدِّ على دَعْوى المُشْرِكين، وإبطالِ قَوْلِهم، وتَحدّيهم في مَيْدانِ نُبوغِهم وتَفَوُّقِهم وهُم أربابُ الفصاحةِ، وفرسانُ البيانِ. وفي التَّعبيرِ بالفاءِ أيضًا إلْماحٌ إلى فَوريَّةِ تلقينِ الرّسولِ الكريمِ ﷺ لحُجَّتِه، وإلى مَعيَّةِ اللّه تعالى له ﷻ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/170.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ: 2/56.

دلالَةُ فِعْلِ الأَمرِ في: ﴿فَأْتُواْ﴾:

المُشْرِكونَ عَجَزَةٌ عَنِ المُعارَضَةِ

الغرضُ مِن التَّعبيرِ بفعلِ الأمرِ التَّعجيزُ والتَّحَدّي، وإسكاتُ الخَصْمِ، ولكنَّ التّعبيرَ بفعلِ الأمرِ جعلَهم كالمأمورِ بالإتْيانِ، فيَعْمَدون إلى التَّنْفيذِ فلا يستطيعون، فيكون ذلك أشدَّ تبكيتًا وتقريعًا.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالإتْيانِ في: ﴿فَأْتُواْ﴾:

تَناسَبَ التَّعْبيرُ بالإتْيانِ مَعَ إرْخاءِ العِنانِ في التَّحَدّي للمُنْكِرين

أوثرَ التَّعبيرُ بمادَّةِ الإتْيانِ؛ لأنَّ الإتيانَ مَجيءٌ فيه سُهولةٌ كما قال الرّاغبُ[1]، وهذا المعنى يَتناسبُ مع إرخاءِ العِنانِ في التَّحَدّي للمُنكرين، فضلًا عَن أنّ الإيتاءَ يُسْتَعْمَلُ كثيرًا في القضايا المهمّةِ والعظيمةِ.

الغَرَضُ مِنَ التَّنْكيرِ في: ﴿بِسُورَةٍ﴾:

اتِّساعُ مَجالِ المُعارَضَةِ، والتَّحَدّي أَمامَ الكُفّارِ

التَّنكيرُ في قولِه: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ يُمكِنُ أنْ يكونَ للتَّعميمِ ليَشملَ أيَّ سورةٍ يَختارونها، ويُمكِنُ أنْ يكونَ التَّنكيرُ للتَّنويعِ؛ للدّلالةِ على اتِّساعِ مجالِ المعارَضةِ والتَّحدّي أمام الكفّارِ، حيثُ طولِبوا بالإتيانِ بمِثلِ بعضِ سوَرِه، أي: لا يطالبُهم بسورةٍ معيَّنةٍ، وإنّما أباحَ لهم أنْ يأتوا بأيّةِ سورةٍ مِنْ مثلِ سوَرِ القرآنِ، حتى ولوْ كانت كأقلِّ سورةٍ منه. وهذا فيهِ ما فيهِ مِن التَّبكيتِ، والتَّخجيلِ لَهُم لارتيابِهم في القرآنِ.

مَدْلولُ الباءِ: ﴿بِسُورَةٍ﴾، ودلالَةُ الصِّفَةِ: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

اسْتِنْفارُ هِمَمِ المُعانِدينَ للتَّحَدّي بسورَةٍ مِنْ جِنْسِ القُرآنِ الكَريمِ

تَجاوبتِ الباءُ بدلالتِها على المُلابسةِ واللُّصوقِ والالتزامِ مع التَّحدّي في الآيةِ الكريمةِ، حيثُ يُلْمَحُ فيها إرشادٌ لهؤلاءِ المُشْرِكين المُعانِدين بدوامِ الوقوفِ أمامَ القرآنِ، وبمُعاودةِ عرْضِ سوَرِهِ الكريمةِ أمامَ عقولِهم، وتَفْليتِها سورةً سورةً؛ ليَختاروا منْها بَعْدَ عُكوفٍ وتَأنٍ طويلَيْن ما يستطيعون به معارضةَ القرآنِ الكريمِ، بَلْ لَيس منْه نفسُه بل بسورةٍ مِن جِنْسِه، أي: شَبيهَةٍ بهِ في البَلاغةِ وحُسْنِ النَّظْمِ كما تَدُلُّ عليه الصِّفةُ ﴿مِّثْلِهِۦ﴾، وفي هذا تبكيتٌ لَهُم

(1) الرّاغب، المفردات: (أتى).

وتخجيلٌ، حيثُ إنَّهم يوَجَّهون إلى الطُّرُقِ الّتي يُظَنُّ أنَّها تُعينُهم على المعارَضةِ[1].

بَلاغَةُ المُتشابِهِ اللَّفْظيِّ:

التَّرَقّي في إلْزامِ الحُجَّةِ وتَوْضيحِ المَحَجَّةِ

مَن يَتَأمَّلُ آياتِ التَّحدّي في سوَرِ: الإسْراء، وهود، ويونسَ، وهي سوَرٌ مَكّيَّةٌ، يَجِدُ أنَّ التَّحدّيَ تَدرَّجَ وتَرَقّى، فجاءَ أوَّلًا بمِثْلِ القرآنِ في الإسراءِ، ثُمَّ خُفِّفَ إلى عشْرٍ في هودٍ، ثُمَّ خُفِفَ إلى سورةٍ واحدةٍ منهُ في يونسَ. أمّا في آيةِ البقرةِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23] فقدْ وصَلَ التَّرقّي إلى قِمَّتِه؛ لذا أُثْبِتَتْ ﴿مِّن﴾ فيها؛ لتدلَّ على التَّبعيضِ، فتُرْخي العنانَ، وليَصِلَ التَّساهلُ إلى ذُرْوتِه، وهذا يتناسبُ وجلالَ الخالقِ سبحانَه، ومِمّا يُساعِدُ على إدراكِ قوَّةِ هذا التَّحدّي وغايتِه في آيةِ البقرةِ ما أُتْبِعتْ به مِن قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾، فهذا نَفْيٌ وتأكيدٌ لعَدمِ القدرةِ على المعارضةِ حالًا ومآلًا[2]. فآيةُ البقرةِ تختلفُ عن مَثيلاتِها مِن حيثُ المُخاطَبون، فهي للنّاسِ كافَّةً، وتختلفُ من حيثُ السّياقُ والأسلوبُ، حيثُ جاءتْ ﴿مِّن﴾ فيها، وإلى مُجْمَلِ هذا أشارَ ابنُ كثيرٍ فقال: "وهذا هوَ المَقامُ الثّالثُ في التَّحَدّي، فإنَّهُ تَعالى تَحَدّاهُم ودَعاهُم، إنْ كانوا صادقينَ في دَعْواهُم، أنَّهُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ، فلْتُعارِضوهُ بنَظيرِ ما جاءَ بِهِ وحْدَه واسْتَعينوا بمَنْ شِئْتُم، وأخْبَرَ أنَّهُم لا يَقْدِرونَ على ذَلِكَ، ولا سَبيلَ لَهُم إلَيْهِ، فقالَ تَعالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88]، ثُمَّ تقاصَرَ معهم إلَى عشْرِ سوَرٍ مِنْهُ، فقالَ في أوَّلِ سورَةِ هودٍ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟

(1) الرّوينيّ، مِن غريب البلاغة القرآنيّة، ص: 117.
(2) الروينيّ، مِن غريب البلاغة القرآنيّة، ص: 119 - 118.

مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: 13]، ثُمَّ تَنازَلَ إلى سورَةٍ، فقالَ في هذه السّورَةِ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، وكَذا في سورَةِ البَقَرَةِ – وهيَ مَدَنيَّةٌ – تَحَدّاهُم بسورَةٍ مِنْهُ، وأخْبَرَ أنَّهُم لا يَسْتَطيعونَ ذَلِكَ أبَدًا، فقالَ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ الآيَةَ. [البَقَرَة: 24][1].

بَلاغَةُ العَطْفِ في: ﴿وَٱدۡعُواْ﴾:

العطفُ هنا اقْتَضى ترَقّيًا في التَّحدّي بأنْ يَدعوا مَنْ أرادوا مِن الإنْسِ والجنِّ، وأنْ يَحْتَشِدوا ويَتَعاضَدوا لأنْ يَفعلوا ذلك.

غَرَضُ فِعْلِ الأَمرِ في: ﴿وَٱدۡعُواْ﴾:

طَلَبُ دَعْوَةِ نُصَرائِهِم ليَشْهَدوا كَذِبَهُم في ادِّعائِهِم، ولِبَيانِ كَمالِ التَّحَدّي

الأمرُ في قولِه: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾؛ لتوكيدِ كمالِ التَّحدّي، وإرخاءِ العِنانِ في قولِه: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾، حيثُ أُمِرَ الرَّسولُ ﷺ بأنْ يَأْذنَ لهم بأنْ يَسْتَعينوا بمَنْ يَسْتَطيعون مُعاوَنَتَهم في هذا التَّحدّي. والغرضُ من الأمرِ التَّعجيزُ والإفحامُ "ودعوةُ هؤلاء النُّصراءِ لأمريْنِ: أوَّلهما: ليَشهدوا كَذِبَهم في ادِّعائِهم. وثانيهما: لينتصروا بهِم ويكونوا قوَّةً معهم يُظاهِرونَهم فيما يَدَّعون، ولكنَّهم مع ذلك لا يُمكِنُهم أنْ يأْتوا بقرآنٍ مثلِه كقولِه تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88]"[2].

مَعْنى: ﴿مَنِ﴾:

اسمٌ مَوصولٌ أفادَ الإبهامَ والعمومَ؛ ليطْلقَ لهُم العِنان في الاسْتعانةِ بمَنْ شاؤوا مِمّنْ يستطيعُ اقْتحامَ هذه المَفازةِ.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/364.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/3572.

دلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ: ﴿مِّن﴾:

﴿مِّن﴾ في قولِه: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ابتدائيَّةٌ، والمَعنى: ادْعوا إلى المُعارَضةِ مَنْ يُعاوِنُكم ويَنْصرُكم بزَعْمِكم.

استفزازٌ لمَنْ يتحدّى شَهادَةَ رَبِّ الأَرْبابِ وإدماجُ تَوْبيخِهم على الشِّرْكِ

دلالَةُ التَّعْبيرِ بـ ﴿دُونِ﴾:

﴿دُونِ﴾ نقيضُ (فَوْقَ)، وهو تقصيرٌ عن الغايةِ، والدّونُ: الخَسيسُ، ثُمَّ استُعيرَ للتَّفاوتِ في المَنازِلِ المعنويَّةِ تشبيهًا بالمراتِبِ الحِسّيَّة، كقولِنا: مِن دونِ فلانٍ شَرَفًا، والمعنى في الآيةِ: مِن غَيْرِ اللّه[1]. وفي التَّعبيرِ بقولِه: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ توبيخٌ للكُفّارِ؛ لأنّهم لم يرضوا بشهادةِ ربِّ الأربابِ سبحانه أنّ القرآن غيرُ مُفترًى، والمعنى: "ادعوهم مِن دونِ اللّه كدأبِكم في الفزعِ إليهم عِند مُهمّاتِكم مُعرِضين بدُعائِهم واستِنجادِهم عن دُعاءِ اللّه واللّجأِ إليه، ففي الآيةِ إدماجُ توبيخِهم على الشِّركِ في أثناءِ التّعجيزِ عنِ المُعارضةِ"[2].

سِرُّ إيثارِ أَداةِ الشَّرْطِ ﴿إِن﴾:

التَّعْريضُ بالمُشْرِكينَ لإلْهابِ حَماسَتِهم، ودَفْعِهم لمُعارَضَةِ القُرْآنِ

(إذا) أداةُ شرْطٍ غيرُ جازمةٍ تدلُّ على تحقُّقِ وقوعِ الشَّرطِ بخلافِ ﴿إِن﴾ الَّتي تدلُّ على الشَّكِّ في تحقُّقِ الشَّرطِ. وفي إيثارِ ﴿إِن﴾ الشَّرطيَّةِ في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعريضٌ بكَذِبِ المُشْركين؛ لأنَّ صدقَهم غيرُ مُحْتَمَلِ الوقوعِ، وفي هذا التَّعريضِ إلهابٌ لحَماستِهم، إذْ عرَّضَ بعَدَمِ صِدْقِهم لتَتَوفَّرَ دوافعُهم في مُعارضةِ القرآنِ. وفي هذا أيضًا زيادةٌ في التَّحَدّي والتَّبْكيتِ والإلزامِ[3].

والمعنى: إنْ كُنْتُم صادِقينَ في دَعْواكم أنَّ القرآنَ مُفْتَرًى. فحُذِفَ مُتَعَلَّقُ ﴿صَٰدِقِينَ﴾؛ لدَلالَةِ ما تَقَدَّم علَيْه، وجَوابُ الشَّرْطِ مَحْذوفٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/57.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/54.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/55.

تَدُلُّ عليه جُملَةٌ مُقدَّرَةٌ بَعْدَ جُملَةِ: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، إذِ التَّقْديرُ: فتَأْتونَ بسورَةٍ من مِثْلِه.

التَّفْرِقَةُ بَيْنَ: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾، ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾:

معنى قولِه: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: 23] أي: أعوانَكم وأنصارَكم على سبيلِ الكِنايةِ، فالشّاهِدُ يُؤَيِّدُ قَولَ المَشْهودِ فينصرُه على خَصْمِه. أمّا قولُه: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ أي: مِن خَلْقِ اللّه مِن إنْسٍ وجِنٍّ، وهذا أعَمُّ في طَلَبِ الاستعانةِ بالنُّصَراءِ كما تدلُّ عليه صيغةُ الطَّلَبِ مِن بَذْلِ الجُهْدِ، وإفراغِ الطّاقةِ في التَّنْقيبِ عمّا يُعينُهم في مُعارَضةِ القرآنِ الكريمِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(افْتَرى) و(كَذَبَ):

الافْــتِراءُ أَقْــوى أَثَرًا، وأَشَدُّ ضَرَرًا مِنَ الكَذِبِ

افْترى: افترَى الكَذِبَ يفْتَريه: اخْتَلَقَه. والفِرَى: جَمعُ فِرْيَةٍ وهي الكَذِبَةُ. والافتراءُ: الكَذِبُ في حقِّ الغَيرِ بما لا يَرْتَضيه[1]. والافْتِراءُ أيضًا: هو العظيمُ مِن الكَذِبِ، يُقالُ لمَنْ عمِل عملًا فبالَغَ فيه: إنّه لَيَفْري الفَرِيَّ. ومعنى افْتَرى: افْتَعَلَ، واختلقَ ما لا يَصِحُّ أنْ يكونَ[2].

كَذَبَ: كِذْبًا وكَذِبًا، فهو كاذبٌ وكذّابٌ وكَذوبٌ. الكَذِبُ: نقيضُ الصِّدْقِ. والكَذِبُ قدْ يقعُ على سبيلِ الإفسادِ ويكونُ في حَقِّ النَّفْسِ، وقد يكونُ على سبيلِ الإصلاحِ، كالكذبِ للإصلاحِ بَيْنَ المُتَخاصِمَيْنِ، والكذبُ في الحربِ[3]، وتَشْتَرِكُ الكَلِمتان: الافتراءُ والكَذِبُ في عدَمِ مطابقةِ الخبرِ للواقعِ، لكِنَّ الافتراءَ أقوى أثَرًا، وأشَدُّ ضَرَرًا مِن الكَذِبِ؛ لأنَّه أعظمُ الكَذِبِ.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فري)، والعسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 499.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (كذب).
(3) الرّاغب، المفردات: (كذب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»